سلسلة أروع القصص من أحاديث النبي ﷺ

أصحاب السفينة



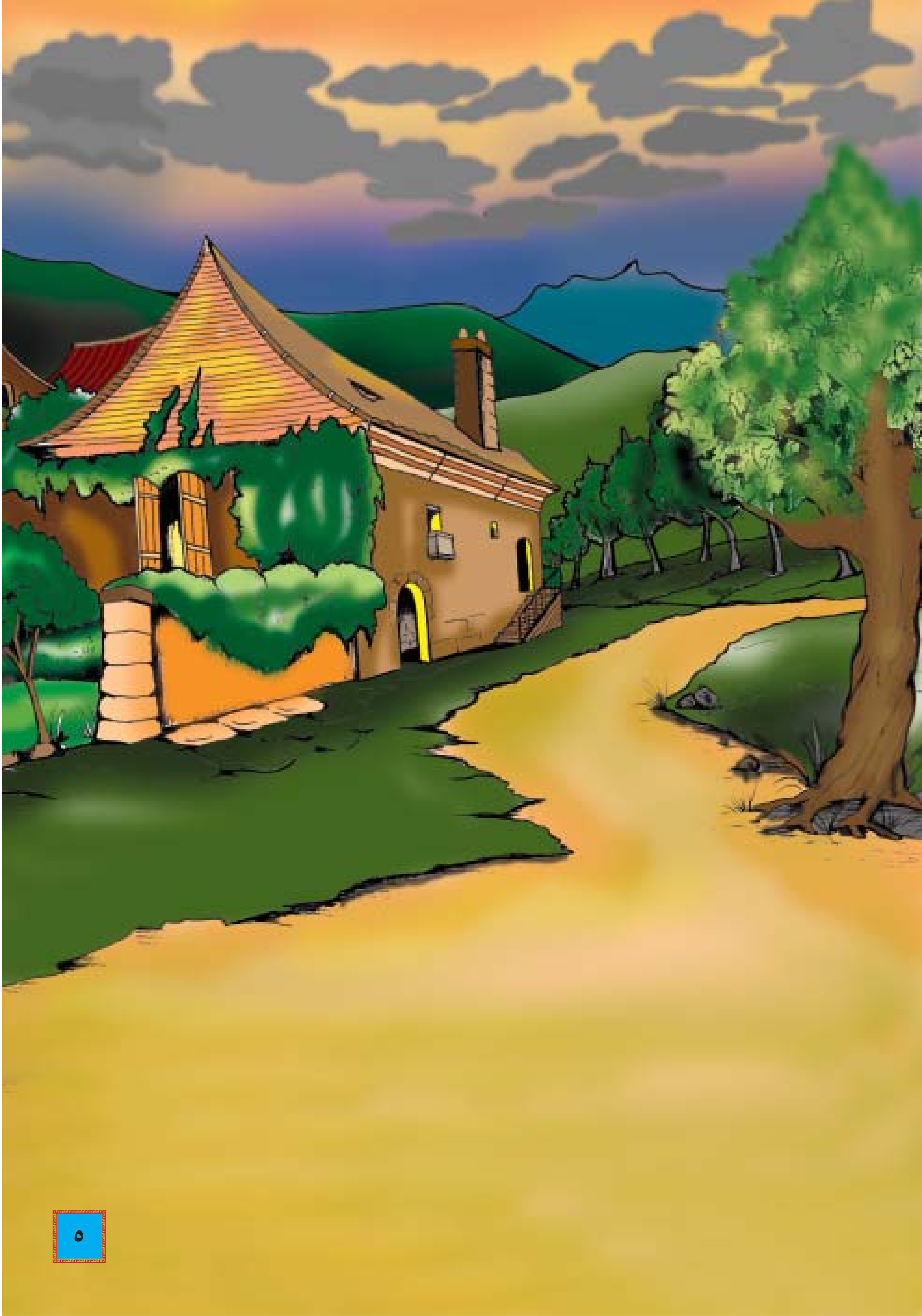
الكاتب: شادي فقيه

إخراج: مركز دار العلم للدراسات

رسوم: فؤاد ميران

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

بدأتِ الشمسُ بالمغيبِ، وأخذَتْ تظهرُ في الأفُقِ الخيوطُ السوداءُ معلنةً عن حلولِ الليلِ. وممهدةً الطريقَ إلى القمرِ والنجومِ. في هذهِ الأثناءِ كان إبراهيم يستعدُّ للجلسةِ المسائيةِ معَ والدِهِ. فقد كان الأبُ يُتحِفُهم كل ليلةٍ بقصةٍ جميلةٍ من أحاديثِ النبيِّ ﷺ.



إبراهيم: فاطمةُ أينَ أنتِ؟

فاطمة: ها أنا ذا، لقد انتهيتُ لتوّي مِنْ أداءِ الصلاةِ.

إبراهيم: أنا سعيدٌ اليومَ جداً.

فاطمة: ولماذا يا أخي؟

إبراهيم: لقد تشاجَرَ إثنانٌ من الأولادِ في المدرسةِ وكادَ أحدُهم أَنْ يَضرِبَ الآخرَ، لكني تدخلتُ ومنعْتُهم، وبذلكَ أكونُ قد نهيتُهم عن مُنكرٍ.

فاطمة: لكنْ هَلْ تعلمُ أنَّ هناكَ شروطاً للأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ؟



إبراهيم: حقاً! وما هي؟

فاطمة: يجبُ أولاً أن تكونَ على عِلْمٍ بما تنهى عنهُ أو تأمرُ بهِ، كأَنْ تعرفَ الحلالَ والحرامَ في الأوامرِ والنواهي.

إبراهيم: وثانياً؟



فاطمة: أَنْ تكونَ واثقاً من أنّكَ ستؤثّرُ في الآخرين وإلا لو عَلِمْتَ أنَّ النهي عن المنكرِ قد يؤدِّي إلى الوقوعِ في منكرٍ أعظمَ منه. فليس هناك داعٍ لأنْ تضيّعَ وقتكَ.

إبراهيم: وثالثاً؟

فاطمة: أن لا يؤدّي إلى أذية لكَ، قد تؤدِّي إلى الهلاكِ، رابعاً أن يكون بطريقةٍ مدروسةٍ.

إبراهيم: رائعٌ يا أختي، من أينَ تعلمتِ كلَّ هذه المعلوماتِ؟

فاطمة: إني أتعلّمُ دائماً.



وفجأةً دخلَ الأبُ ليقطعَ الحديثَ الدائرَ بينهما.

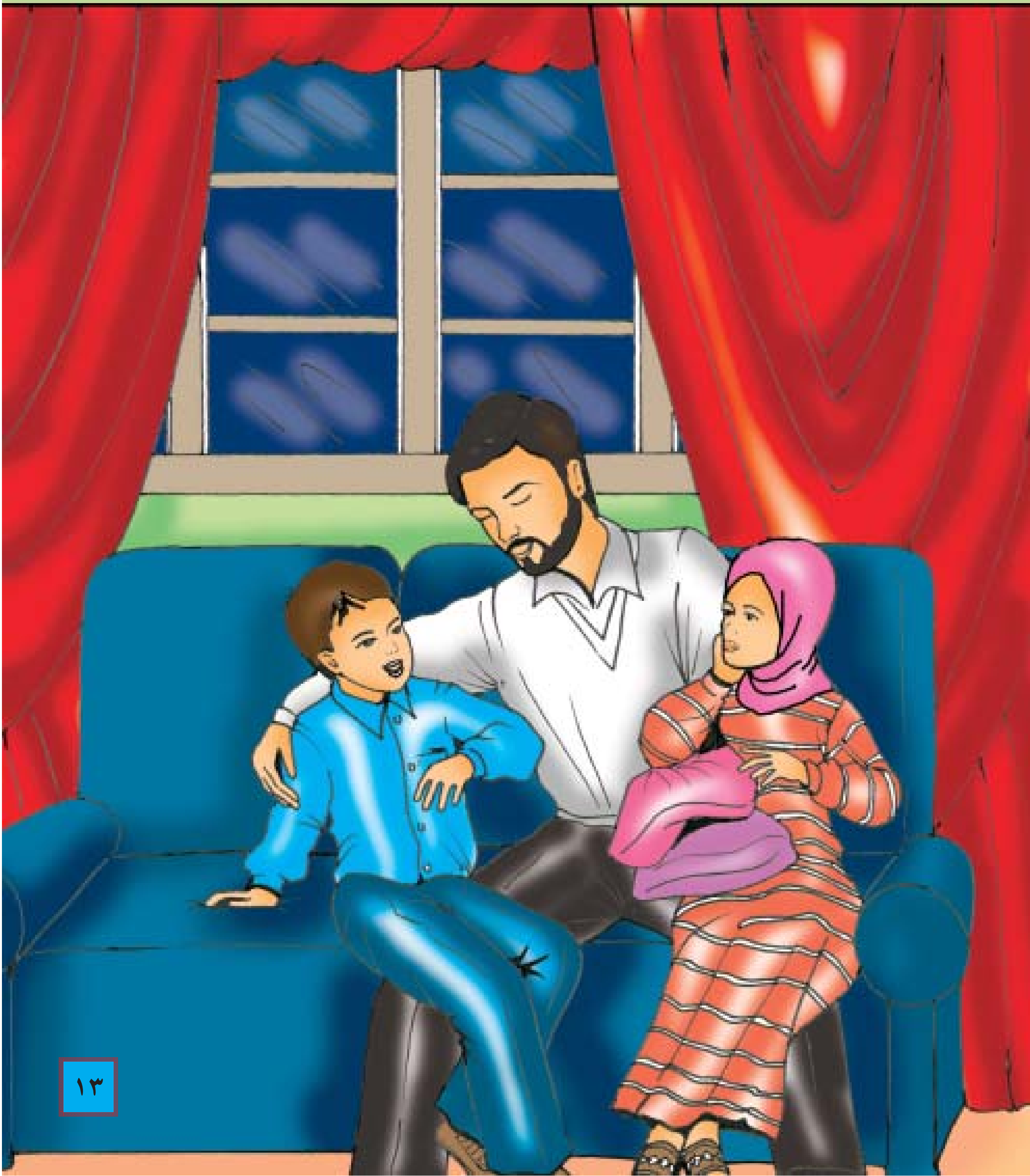
الأب: السلامُ عليكم يا أولادي.

الأولاد: وعليكُم السلامُ يا والدي.

الأب: ما هو الحديثُ الدائرُ بينكما؟

إبراهيم: إنّه عن الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وكانت فاطمةُ تخبرُني شروطَه.

الأب: جيد، فما رأيُكم لو قصصتُ عليكم قصةَ أصحابِ السفينةِ، وهي القصةُ التي ضربَ الرسولُ ﷺ مثلاً بها للمسلمين.



كانَ في قديمِ الزمانِ... مجموعةٌ من الناسِ ركبوا سفينةً كبيرةً، وكانت السفينةُ مقسّمةً إلى قسمين، دورٍ علويٍ ودورٍ سفلي.

تقاسمَ الناسُ الدَورين، فساكِنو الدورِ السفلي كلّما احتاجوا إلى الماءِ صعدوا إلى الدَورِ العلوي ليسحبوا من ماءِ البحرِ فيغسلونَ به أوعيتّهم ويقضونَ به حوائجَهم.



أحدهم: هيا لنصعدَ كي نُحضرَ ماءً للغسيلِ.

آخر: اصعدْ أَنتَ فقدْ تعبتُ من كَثْرةِ الصعودِ والهبوطِ.

وآخر: إننا نزعجُ سكانَ الدورِ العلوي كثيراً بكثرةِ تَردّدنِا عليهم لنأخذَ الماءَ.

رجلٌ منهم: يجبْ أن لا نؤذيَ مَنْ فوقَنا.

آخر: علينا أَنْ نجِدَ طريقَةً لا نؤذي فيها أحداً.



أحدهم: لديَّ فكرةٌ، ما رأيُكم لو نثقبَ أسفلَ السفينةِ، فإذا أَردْنا الماءَ أخَذْنا من الثقبِ ولا نحتاجُ إلى الصعودِ.

آخر: فكرةٌ رائعةٌ، وهذا سيوفرُ علينا مجهودَ الصعودِ والهبوطِ ويجعلُنا لا نؤذيَ الآخرين.

الرجل: كما أننا سنكونُ في حالِنا.

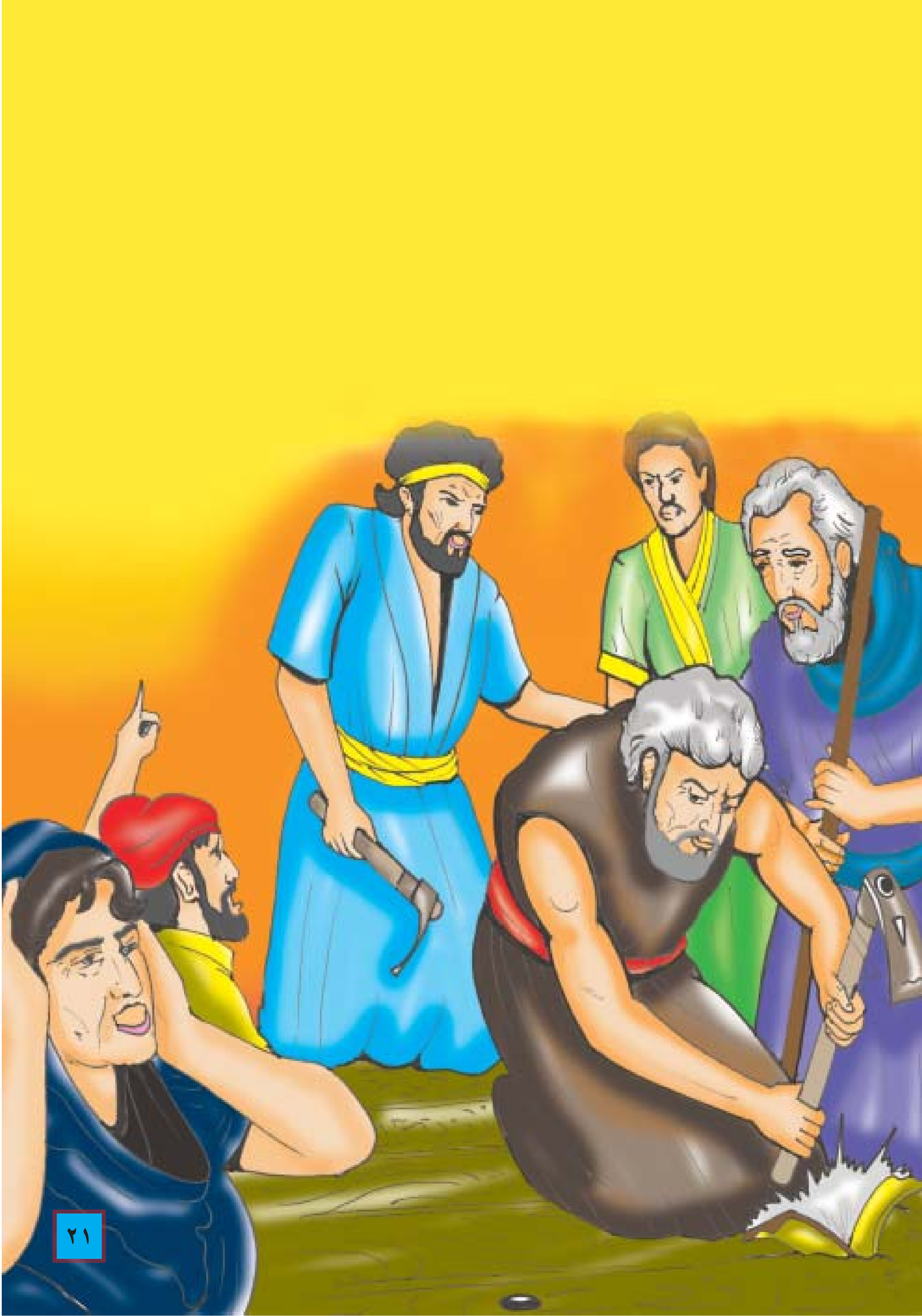
أحدهم: فكرةٌ حسنةٌ أنا موافقٌ، هيَّا بنا.



الأب: وبدأ سكانُ الدَورِ السفلي بالطَرْقِ في أسفلِ السفينةِ ليُحدِثوا ثقباً، فأحدثَ طرقُهم ضجيجاً عالياً جَعلَ سكانَ السفينةِ يسرعون لرؤيةِ ما يحدثُ.

سكان الدورِ العلوي: ما هذا الصوتُ الذي نسمعُه بأسفلِ السفينةِ؟

أحدهم: هيا لنرَ بسرعةٍ.



الأب: ونزلَ سكانُ الدورِ العلوي إلى أسفلِ السفينةِ، ووجدوا سكانَ الدورِ السفلي يحاولون ثقبَ السفينةِ.

سكانُ الدور العلوي: ما هذا الذي تفعلونَهُ؟

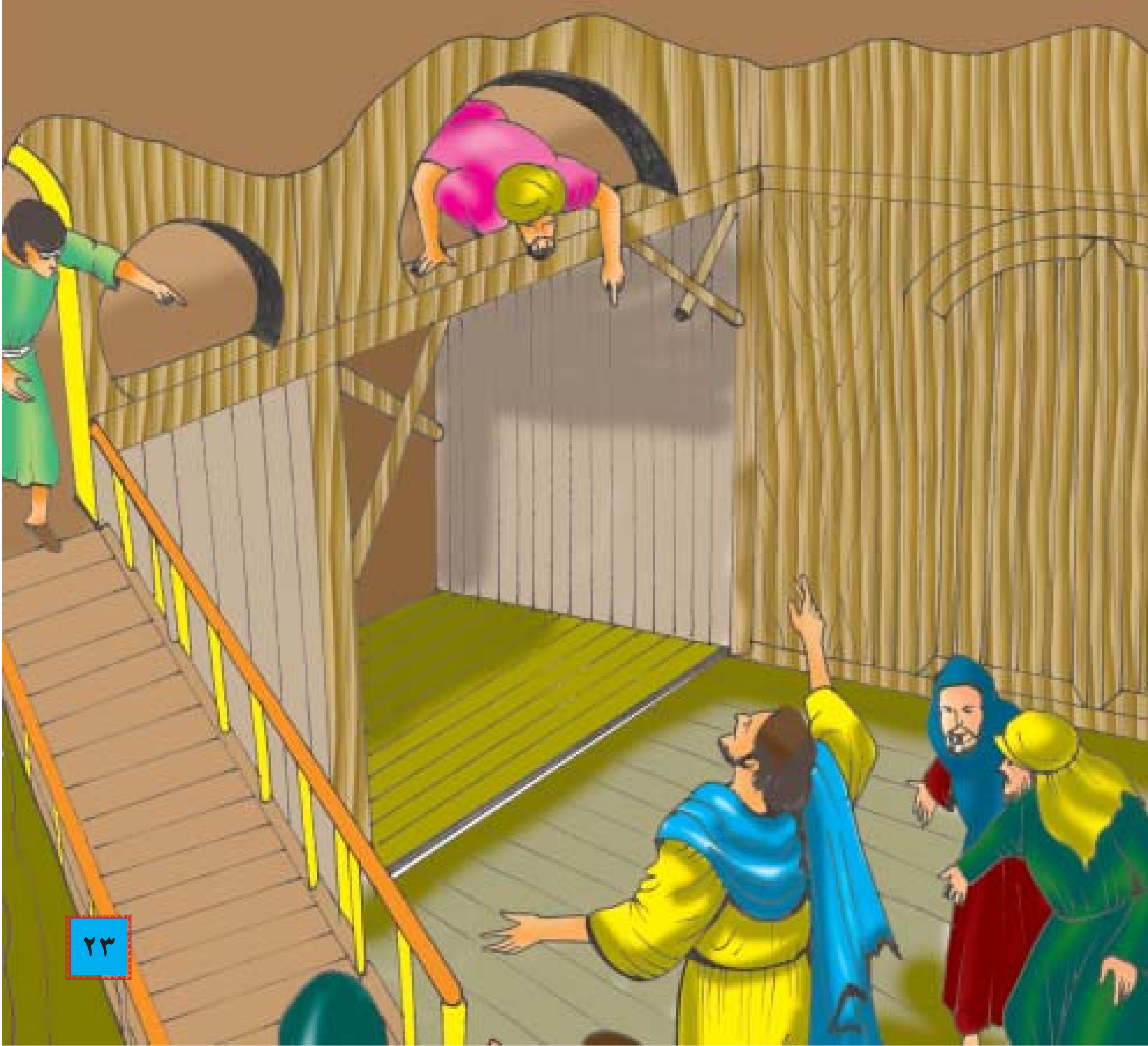
سكانُ الدور السفلي: إننا بحاجةٍ إلى الماءِ، لذلك نحنُ نثقبُ السفينةَ.

سكانُ الدور العلوي: ماذا تقولون... ثقبَ السفينةِ؟!

سكانُ الدور السفلي: لا عليكم أنتم، نحنُ لا نُزعجُكم ولن نعذّبكم في الأمرِ، كما أنّنا سنثقبُ فقط المكانَ الذي نحنُ فيه ولن نؤذيَكم.

سكانُ الدور العلوي: وكيفَ هذا؟

سكانُ الدور السفلي: لا تخافوا سنثقبُ ثقباً في السفينةِ لنستعملَهُ.



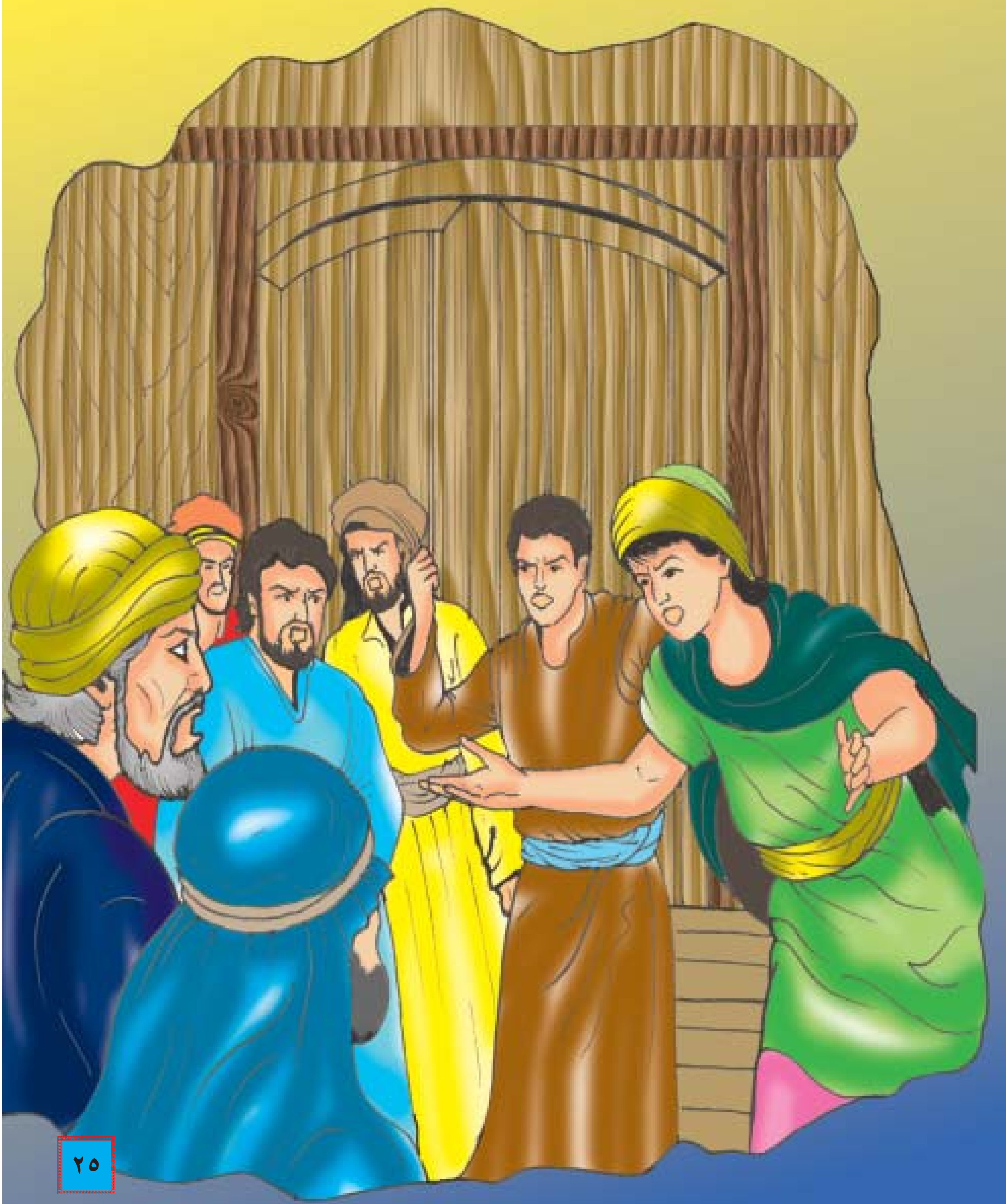
قالَ سكانُ الدور العلوي غاضبين: إنَّ السفينةَ ستغرقُ أيُّها الحمقى.

أحد سكانِ الدور العلوي: ولكنهم سيثقبون فقط عندهم ولن يأتوا ناحيَتنا، فنحنُ بعيدون عن الأذى.

أحدُ سكانِ الدورِ العلوي: إن السفينةَ ستغرقُ كلُّها، الدورُ السفلي والدورُ العلوي.

أحدُهم: ستغرقُ؟

رجلٌ منهم: نعم ستغرقُ السفينةُ كلُّها ولن ينجوَ منا أحدٌ. فإِنْ تركناهم هلَكْنا جميعاً وإنْ نحنُ منعناهُم نجونا جميعاً.



فاطمة: وماذا حصلَ يا أبي؟ هل تركوهم يثقبونَ السفينةَ؟

الأب: طبعاً لا، لم يتركوهم.

إبراهيم: وكيفَ كان الحالُ لو تركوهم؟

فاطمة: نعم، ماذا سيكونُ مصيرُهم.

الأب: سيكونُ مصيرُهم كما ذكرَ النبيُّ (ﷺ): لو تركوهم لغرِقوا جميعاً، وهكذا الدنيا والحياة يا أولادُ مثل السفينةِ الكبيرةِ، فلو تَركْنا المخطئَ يفعلُ ما يشاءُ فإنه سيتمادى ويُغرقُ السفينةَ كلَّها.

فاطمة: شكراً يا أبي على تلك القصةِ الجميلةِ.

الأب: والآن إلى النوم يا أحبائي.

الأولاد: السلامُ عليكم يا والدي.

الأب: وعليكم السلام يا أولاديَ الأعزاءَ.



عن رسول الله (ﷺ) أنه قال:

«مَثَلُ القائمِ في حدودِ الله والواقعِ فيها كمَثل قومٍ استهمّوا على سفينةٍ، فصار بعضهُم أعلاها، وبعضُهم أسفلها. وكان الذين في أسفلِها إذا استقوا منَ الماءِ مروا على مَنْ فوقَهم. فقالوا: لو أَنَّا خَرقْنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذِ مَنْ فوْقَنا!! فإن تركوهم وما أرادوا هلَكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيدِيهم نجوا، ونجوا جميعاً».

رواه البخاري (٢٤٩٣)